ثم

رواية

ساحرة الفودو

نادية كرومي.

2023.

الإهداء :

إلىمن وهبتني الحياة وعلمتني حروف الأبجدية..

إلى أمي، التي كلما سقطت رفعتني بساعديها كي أقف بانتظام مرة ثانية..

إلى حبيبتي ورفيقة دربي في الحياة، من ناضلت لأجلنا وقامت بكل التضحيات لأجل إسعادنا..

نادية كرومي.

كانت أمي تحضر لأبي ما لذ وطاب من الأكل، لا تنسى شيئا مما يقول لها، كانت تطبق كل ما يقوله وتحفظه عن ظهر قلب، لكنه رغم ذلك كان حين يأتي

في المساء من عمله يصرخ في وجهها ويفتعل المشاكل لأجل ضربها، كان يضربها بشدة، لا يرحمها أبدا، كان يعذبها لساعات طويلة، كانت تظل تبكي وتدعو لله كي يهديه إلى الصراط المستقيم لكنه كان كل يوم يزداد قوة وتمردا عن ذي قبل، وفي يوم من الأيام وأنا ألعب لعبتي المفضلة

"لعبة الدمى"، بينما كنت أمشط شعر دميتي الصغيرة " باربي " سمعت صوت أنثى كبيرة في السن تنادي لأمي تريد مقابلتها، اختبأت وراء الباب لأرى ما يحدث، فجاءت أمي وأدخلت المرأة وهي تلتفت هنا وهناك خيفة أن يراها أحد ويعلم بأمرها، ثم جلستا في المطبخ تتبادلان الحديث:

إسمعي يا شهرزاد، لا تترك نورزاذ يضربك هكذا لقد جئت لك بدواء إذا ناولتيه إياه لن يضربك بعدها أبدا، ناويله إياه في الصباح وفي المساء في أكله وشرابه وسيهدأ ويصبح عبدا لك.

كيف أفعل ذلك يا خولة، هذا زوجي وعشرة عمري؟

كيف أخونه بهذه الطريقة، لست كباقي النساء، أنا شهرزاد..

لن أفعل ذلك أبدا، سأتركه وشأنه سيلقى يوما عقابه عند ربه.

هل لديك دمية من القماش؟

نعم لما؟

ستخرزين فيها إبرا بحجم 2/3 سم مثلما سأريك في

الصورة، ستتحكمين فيه بهذه الطريقة

يا شهرزاد..

الجن يسكن الدمى عادة حينما يعرفون هويته ، حينما تخرين الإبر في الدمية سيتألم هو حيث خرزتت الإبر، سيعاني من ذلك طويلا، ولن يقدر أبدا على رفعها في وجهك ثانية..

كيف أفعل ذلك لزوجي؟ مستحيل..

هل ستبقين هكذا سجينة في منزله لا تعرفين شيئا عن

العالم الخارجي، أنت مثل: العبيد ،لا تقرأين ولا تكتبين، كنت

في الثانية عشرة من عمرك حين زوجك أباك مقابل بقشيش من المال، لأنه أراد أن يربح البعض منه من صهره كي يسدد دينه كالمعتاد، لأنه كان مدمنا على القمار ،أنت طفلة عاشت في عالم قاسي جدا، لم ترحمها الأم البديلة ولا الأب الذي أدمن على القمار، كيف ترضين أن تبقى مع رجل عنيف وقاسي مثل نورزاد، هذا ليس زوجا أبدا يا عزيزتي ،هذا وحش ويجب أن توقفيه بهذه الطريقة، لأنك ضعيفة ولن تقدري على مواجهته ابدا يا عزيزتي ..

مسكت أمي تلك الأنية وجعلت تلتفت يمنة ويسرة، كانت خائفة أن يراها أبي فيعاقبها أشد عقاب..

كان أبي رجل ضخم الجسم، ذو بشرة سمراء داكنة، يغطي أسفل وجهه لحية كثيفة سوداء، يعلوها شارب أسود كثيف، يهابه كل من يراه ،كان يعمل بناءا في صحراء تندوف حيث كنا نقطن، لم أرى له صديق ولا رفيق منذ عرفته

أول مرة، كانت أمي هي الوحيدة من تحدثه رغم قسوته عليها وتسايره غالبا، كنت أتساءل دوما عن جدتي من أبي، لأنها حتما كانت تسيطر عليه لأنها أمه لكني حين سألت أمي قالت: لي أنها كانت عجوز ماكرة، تكرهني كثيرا، وأرادت تطليقي من إبنها في الكثير من المرات، لكن إبنها كان يرفض كلما طلبت منه ذلك، كان يغضب منها غضبا شديدا، ويخرج من بيتها غاضبا، ومرت الأعوام الوحدة تلوا الأخرى وماتت جدتي، فسكن الحزن في جوف أبي، وكره كل شيء من حوله، حتى زوجته وابنته..

فكان يقسو على أمي كثيرا كلما حدثته أو جلست لتكلمه في شأن من شؤون البيت، لم يحدث لي أن رأيتهما يتبادلان عبارات الحب أبدا، فالحب في عالم أبي سي عبد السلام عبد المعز الإبراهيمي كلمة ليس لها وجود سوى في الأفلام فقط، فقد يظن أنه لو ينطق بتلك الحروف لأمي سيفقد سيطرته عليها وقد تتحرر من قيوده وتذهب لرجل آخر، كان غيورا جدا لدرجة الجنون..

هل يعني الحب أن نشك فيمن نحب؟

أم أن نثق فيما نحب؟

لم أكن أعرف حقا ماذا يعني، فأنا كنت طفلة ذات ست السنوات فقط ، ترى ذلك بأم عينيها ولا تقوى على فعل شيء، كانت طفولتي أشبه بعالم مظلم، لا أذكر أني رأيت فيه ثقبا ولو كان صغيرا يدخل من خلاله القليل من النور..

كانت الساعة السادسة مساءا، حين عاد أبي يجر رجليه مثلما يجر الريح حبات الطلع، أو شقائق الورود اليابسة، لا يقوى على حملهما من شدة التعب، فدخل

كعادته والتوى في قطعة من قماش وألقى جسده المتعب على السرير،
وكنت أنا كعادتي أرتب بيت دميتي "باربي" وأعد لها العشاء، جلبتها
ودخلت خلسة حيث كان ينام ،وصرت أحدق فيه بينما كان يغط في نوم
عميق
،كان يهلوس بإسم لم أفهمه، وفجأة جاءت أمي بصينية الأكل، وجعلت توقظه
كعادتها :
نورزاد أفق، لقد جلبت لك أكلا كي توقف صريخ عصافير بطنه، أعلم أنك
متعب وجائع..
كانت تمسكه بأناملها الطاهرة من يديه، وتردد نفس الكلمات، وفجأة استفاق
غاضبا ودفعها إلى الوراء، فوقعت علي وهي تجهش بالبكاء، فجعلت أجفف
البعض من دموعها تارة وتارة أعانقها..
ماذا فعلت لك كي تدفعني، ألست زوجتك؟
لماذا تعاملني بهذه القسوة؟
لماذا لم تعاملني ولو لمرة واحدة منذ تزوجنا بلطافة؟
تركت بيت أبي وأتيت كي أخدمك، وخدمتك من كل قلبي، أحببتك ولكن لم
تحبني ولو لمرة، لم أفعل لك شيء يغضبك منذ عرفتني..
فتح أبي عينيه وصرخ غاضبا في أمي :
ماذا زوجتي، أنت لست سوى خادمة في بيتي، ليس إلا وستظلين كذلك، لن

تصل لمرتبة الزوجة أبدا، أتعلمين لماذا لأني لا أحبك، ولم أحبك يوما في حياتي، أنت مجرد اتفاقية فقط ،وستنتهي صلاحيتها قريبا ..

ماذا، أليست لديك رحمة؟ هذه ابنتك، لماذا تجعلها تراك ظالما كلما قابلتها، ستكبر مليئة بالعقد النفسية..

لماذا تسرين على قول ذلك، هذه لن تكون ابنتي أبدا، لأنها من صلبك، خذيها واذهبي بعيدا عني، سأعثر على غيرك، أنت لست جميلة ولا حتى ذكية، لا أعلم كيف أبقيتك طيلة هذه السنين في بيتي؟.

كانت تلك أمي تبكي بشدة وهي تجرني من يداي..

تعالي يا ابنتي لنبقى في المطبخ، دعيه يأكل، لأنه متعب وجائع

كانت المسكينة رغما قسوة أبي تنعته بزوجها، وتشفق عليه أيم الشفقة ،لأنها كانت تحبه بشدة..

لم تكن تذهب لبيت أبيها كثيرا، خيفة أن تترك أبي وحيدا، لأنها كانت تعلم أنه ليس لديه لا أهل ولا أقاريب ولا أصدقاء يزورونه في غيابها ،وفي يوم من الأيام بينما كنت في الشارع ألعب لعبة الدمى والديار مع صديقاتي، دخل أبي مرهقا كعادته ولم يجد ما يأكل لأن الأكل قد نفذ وأمي كانت خائفة من كلماته القاسية معها فلم تحدثه بشأن الخضر والمستلزمات الغذائية التي كانت تستخدمها عادة لطهي..

استلقى ابي كعادته على السرير يريد رغيفا من الخبز وأناية من المرقة، وجعل

يناديها لكنها لم تجيبه فجلب الصياط وجعل يضربها بقسوة ،ثم ربط يديها ورجليها بعدما سجنها في إحدى غرف البيت ، وجعل يسمعها كلام سيئ أقل ما يقال عنه سيئ بل كان في قمة القذرة ..

سمعت صراخها فدخلت مثل المجنونة أتفقدها من غرفة لغرفة حتى وجدتها، كانت ملئ بالدماء، لا تقوى علئ نطق الكلمات، تصرخ بأعلى صوت من شدة الألم، وتدعو لله أن ينزل عليها رحمته ، لكن الألم كان يزداد مع استمرار الضرب..

ظلت أمي في تلك الغرفة لساعات طويلة عطشى وجائعة، لم تعرف الراحة أبدا ، بسبب عذاب أبي المستمر لها، حتى فقدت إحدى ساقايها وأصبحت عرجاء، لا تمشي بشكل منتظم، فكان يسخر منها وينعتها بالعرجاء، لكنها كانت تكابر وتصبر في ظنها أنه سيتوقف يوما من تعذيبها بتلك الطريقة لكنه كان يقسو عليها أكثر من ذي قبل، فكان يبدل أدوات العذاب كلما أغضبه العالم ، من الصياط للنار، إلى السكين .

كنت أراقب كل يوم عذابه لأمي وقلبي يتقطع..

جلست ذات مرة في حديقتنا أفكر في وضع أمي، هل سأبقى مكتوفة اليدين وأمي مرماة في غرفة فارغة وقذرة ملئ بالحشرات؟، دون أكل ولا شراب، وأنا حرة أشرب وأكل؟

أم أفعل شيء يجعل أبي مقيدا كي أفك رباط أمي وأحررها منه؟

هي أمي التي أنجبتني إلي هذا العالم، وهو أبي الذي أعطاني الحياة، من سأختار من أنجبني إلى هذا العالم أم من وهبني الحياة؟

أمي بريئة لكن أبي ظالم ويستحق الإنتقام لما فعله، لن أرضى أبدا أن تبقى أمي مقيدة من دون أكل ولا شراب، بل سيذوق هو العذاب ذاته من يدي أنا فقط..

أظن أني أعرف أين خبأت أمي ذلك الدواء الذي جلبته لها العجوز المدعوة خولة، لقد وجدته أخيرا، سأضعه في إبريق الماء الذي يشرب منه أبي عادة قبل أن ينام كي يتناوله حين يستيقظ ليلا، هذه فكرة جيدة، وسيلقى حتما عقابه الذي يستحقه ..

كانت الساعة الحادية تاعشر ليلا ،كانت أمي لزالت مقيدة اليدين في تلك الغرفة المظلمة وكان أبي يغطو في نوم عميق جدا، دخلت خلسة ووضعت القليل من تلك الدواء في إبريقه، وخرجت كأن لم أفعل شيء لكن أظن أني سمعت صوتا يحدثني:

ماذا كنت تفعلين هنا يا صارة؟

أجيبي ماذا وضعت في الإبريق؟

لم أضع شيء يا أبي، هذه دميتي كانت تختبأ وراء سريرك كنت أريد الإمساك بها..

حسنا إذهبي الأن واتركيني وشأني، سأنام..

كنت أغادر الغرفة كعادتي أحمل دميتي "باربي" وفي فمي كلمات غضب كثيرة لكني كنت أخاف أن أنطقها في وجهه فيثور غضبا ويفعل بي ما فعل بأمي..

ذهبت حيث كانت أمي مقيدة وجلبت طاسا من الماء وجعلت أسيقها مثلما أسقي وردة ذابلة، كانت تشرب بلهف كبير من شدة عطشها وتبكي بغزارة، وتدعو الله أن ينقذها من ذلك العذاب حتىأغمى عليها من شدة الإرهاق، فجلست بجانبها أمسح بقطعة من قماش دموعها وأشفي جروحها بقطعة من جليد كنت قد جلبتها من الثلاجة حين نام أبي..

كانت الساعات تمر بسرعة علي وأنا بجانبها أعانق تلك الدمية تارة، و أواسيها تارة أخرى، حتى فتح الصباح عينيه ودخلت خيوط النور من عيون النافذة ، كنت لازلت

أحاول فك أظافري التي صنعتها لي أمي في المنام كي أذهب إلى المدرسة ،كم كنت سعيدة، لم أرى لطيلة حياتي منظرا جميلا لأمي مثلما رأيته في المنام، كانت ترتدي ثوبا أبيض مثل العروس، وكان أبي يرمقها بعينيه بحب وحنان لم أراهما أبدا في حياتي ولو لمرة، كنت أرغب حقا في البقاء في ذلك العالم الذي كان لا يشبه عالمي ولو بأي شكل من الأشكال، كانت ألوان السعادة تغزوه من كل جانب، وكانت أنشودة الحب تطرب الوجود كلما التفت يمينا ويسار لكن سرعان ما أفاقني صوت غريب جدا، استغربت سماعه لم يكن ليشبه صوتا أعرفه من قبل، كان صوتا حنونا مفعما بالحب والحنان:

عزيزتي، أين أنت لقد تذكرت اليوم هو عيد ميلادك الثلاثين، سأجلب لك

اليوم هدية وقالب حلوة مثلما تحبين..

أين أنت؟

شهرزاد حبيبتي أين أنت؟

خرجت أهرول من شدة هلعي أحاول متابعة الصوت، كان مبعوثا بالقرب من الغرفة المظلمة حيث كانت تمكث أمي، كان صوت أبي، نعم، لقد أتى كي يصبح على حبيبته شهرزاد

لكنه صعق حين رأها ملقاة علئ الأرض والدماء تكسو جسدها من كل جهة، فجعل يبكي بشدة ويعانقها، بينما كانت تستغرق في نوم عميق، وأنا يكاد يغمى علي من شدة ذهولي..

ترى كيف أصبح أبي القاسي رجلا حنونا بين ليلة وضحاها؟

ماذا حدث له حين شرب ذلك السائل؟

لا أدري كيف استطاعت بعض قطرات من الماء التى تلى عليها الدجال كلمات السحر تلك تحويله من رجل قاسي إلى رجل حنون جدا ؟

كنت أتساءل بيني وبيني نفسي عن ذلك ، وفجأة جاء صوت غريب يخاطبني في صميم أذني يقول لي:

أتركيه وشأنه، الأهم من ذلك هو سلامة أمك..

لا تكترثي لحنانه ،سيغدو ذلك العذاب محبة، وستغدو

كل تلك الكدمات لمسات حنان وحب لم تعرفها أمك أبدا

في حياتها..

أنا لا أعرف حتى من يخاطبني الآن، ولا من يواسيني بتلك الكلمات الجميلة، لكنه رغم ذلك، أعطاني أملا ولو كان كاذبا، فقد أراحني..

لم أكن أعرف ماذا أصنع حقا حين رأيت ذلك المشهد لكني أقنعت نفسي أن تسكت هنيهة وترى من بعيد ما سيحدث..

وفعلا جلبت دميتي "باربي" وجلست تحت الشجرة وجعلت أنتظر والداي كي يأتيا من مشوارهما، وما هي إلا دقائق حتى وقفت سيارة غريبة بالقرب من بيتنا

كانت لصديق أبي محمد الكبير عبد الصمد التيارتي الذي وجد أبي في المستشفى بينما كان يمرض أمي..

كانت تلك اللحظات أشبه بلحظات الوداع الأخيرة لأمي، وهي ترى عيون أبي الملئ بالدموع، وتشعر بلمسات يديه الحنونتين اللتان كناتا سببا في معانتها تلك ،كانت تحاول نطق كلماتها الأخيرة لكنها لم تقدر وظلت صامتة، تبتسم تارة لعينيه وتارة تتساقط دموع خفيفة حين تسمع كلمات المواساة منه..

لا أعلم يا عزيزتي ماذا حدث لك فجأة؟

كنت مثل الأميرة، والغزالة ،لم يكن المرض يقرب منك

أبدا لأني كنت أدعو الله لك كلما فرغت من العمل..

أنت حبيبتي وصديقتي وأمي وعالمي الثاني..

كنت أجوع فتطعميني وأعطش فتسقينني، كيف

تريدين الذهاب بعيدا وتركي وحيدا في هذا العالم القاسي

يا حبيبة قلبي؟

أجيبيني، لماذا يأخذ الموت مني كل شخص عزيز؟

أخذ الموت مني والداي والآن يريد أخذك أنت..

يا ثريتي المنيرة، يا أيتها الحلوة، كيف تغاديرين عالمي

بهذه السرعة، أنا لن أقوىٰ علىٰ تحمل فراقك عني البتة..

كان أبي ينوح، بينما كانت أمي تلفظ في صمت حروفها الأخيرة، وبين هذه وتلك فاضت روحها، وسكت كل شيء في عالمنا أنا وأبي.

خرج أبي يهرول من الغرفة بعدما شعر بسكوت كل شيء في جسدها،

لا يعرف ما يصنع، يبكي بشدة، حتىٰ وجده صديقه، عبد الكبير عبد الصمد يمشي بخطىٰ غير منتظمة، فأحس من رؤيته تلك أن هناك خطب ما، بينما كان هو يزور أحد أقربائه في المستشفىٰ، سأله عن سبب وجوده، فأخبره بوفاة أمي، فجلب سيارة وأقنعه بإيصاله رفقة جثة أمي، للبيت كي تقام لها مراسيم الوداع الأخيرة علىٰ الطريقة المزابية ..

لا أعرف لما كنت مسرورة جدا حين رأيت أمي في المنام سعيدة، ترتدي ثوبا أبيض، كانت إشارة من لله لي أنها ستذهب بعيدا عن هذا العالم لكني لم أدرك ذلك..

كيف أعلم أنا ذلك، وأنا الطفلة التي لزالت في عامها السادس، لا تعرف شيء عن هذا العالم سوىٰ قسوة أبيها؟

كيف أعلم ذلك وأنا التي لم تغلق جفتاها ولو لمرة من شدة الهلع الذي كان يسببه لها أباها؟

لا أعلم ماذا سأصنع بعد الآن وأنا التي لم أتخيل يوما أني سأبقى وحيدة مع أبي القاتل..

لا أعلم حقا كيف سأعامله بعد الآن، هل أنتقم لأمي؟

أم أنسى كل شيء وأعود مدللته، لأنه تحول فجأة بعد زمن طويل إلى زوج وأب حنون فعلا...

لا أعلم ,كل الأفكار التي تزورني الآن سوداء، و شيء الوحيد الذي أحبه هو الذي كان سببا في موت طفولتي، و برائتي..

ليس هناك شيء قد يعوضني خسارتي الكبيرة..

كيف أضمن بقائي بجانبه مرتاحة البال؟

لاشك أنه في غيبوبة مؤقتة وسيستفيق من غيبوبته في يوم من الأيام ليمارس طقوس العذاب معي مثلما كان يفعل مع أمي.

لا شك أنه سيعود مثل فرعون متمردا ثانية، بقوة عظيمة، يدعي فيها العظمة والتمرد على العالم الذي وهبه الحب والسعادة..

سيعود من دون شك ليقتلني، بوحشية مثلما فعل مع أمي..

كانت وساوس الشيطان الذي أمرته خولة بمساعدتي في تهدئة أبي تعاد في أذني كلما رأيت أبي..

كانت تقول لي:

أقتليه يا صارة..

إنتقم لأمك..

هيا لا تتركيه يعيش فإنه لا يستحق..

هيا أجلب سكينا واخريزه في قلبه ليلا بعدما يغطو في عمق..

كان الجن يأمرني كل ليلة بقتله، لكني كنت أرفض، و في إحدى الليالي زارتني أمي في المنام، كانت بثياب رثة، حزينة، وغاضبة جدا منه ،فصارت تدعو عليه..

حسبي لله العظيم ونعم الوكيل في نورزاد..

حسبي لله العظيم ونعم الوكيل في نورزاد..

لقد سرق مني كل شيء، كنت أريد أن أعيش معك سعيدة، لأراك تكبرين، لكنه حرمني من تلك السعادة..

حسبي لله العظيم ونعم الوكيل عليه..

كانت أمي تبكي بغزارة وتقول تلك الكلمات، وكنت أنا أسمعها وعيوني تطوف في فيض كبير من الدموع..

كنت أحاول مسك يدها وهي تغادر ذلك المكان الذي التقينا فيه، الذي كان أشبه بقصر قديم، كانت أسواره عارية، تكسوها خدوش خفيفة ، لكني لم أستطع إمساك يدها بعدما أفلت يدي وذهبت في حال سبيلها ، فاستيقظت والدموع تسقط من عيوني بغزارة ،أحاول اسرجاع ما رأيت

،هي روح أمي تزورني لأول مرة، ليست راضية، بل هي غاضبة من أبي

، الذي قتلها في أول محاولة له للتمرد على العالم ..

كنت أصارع تلك الصور الحزينة تارة وتارة أحاول سماع كلمات أمي الأخيرة التي لفظتها قبل رحيلها، لكني سرعان ما أردت ذلك جاء أبي..

سمعت صراخك يا ابنتي، هل حدث لك شيء؟

هل رأيت كابوسا؟

كانت يداه تلمسان بحنان لأول مرة، وتعانقان لأول مرة، كنت طفلة أتذوق ذوق البراءة لأول مرة..

لم أكن أتخيل ذلك حتى في أحلامي، كيف صار الأب القاسي يعانق ابنته التي تخلى عنها ورفض وجودها لأنها كانت من صلب شهرزاد الزوجة التي نعتها بأبشع الصفات ؟

كيف تحول فجأة من ذئب شرس ليمامة بيضاء، تدمن على البراءة؟

كيف استطاع ذلك العالم المظلم الإختفاء سريعا من جوف أبي ؟

كنت أتساءل حقا عن ذلك بينما كانت يداه تلمسان، وشفاهه تقبلاني

وبينما كنت أنا أسمع ولأول مرة إسمي: صارة من لسانه..

لكن لا بد أن أعرف أنه حقا مفعول الماء السحري، ليس هناك في قاموس أبي كلمة حب ولا حنان، ولن أكون أنا ولا أمي التي توفيت غدرا جزء من عائلته..

سأجلب سكينا حادا الأن وسأخرزه في عمق قلبه لأنه قتلني بمحاولة واحدة

حين قتل أمي..

تركت أحضانه بحجة الذهاب إلى المرحاض، وذهبت لجلب سكين حادة، خبأتها في جيبي كي لا يراني حين أدخل ثانية إليه، ثم دخلت أحمل دميتي "باربي" أغني:

ماتت أمك يا دميتي..

تعال واحضنيني..

تعال يا عزيزتي لابد أنك

بحاجة لحضن دافيء

كانت دميتي متعبة فجعلت أغني لها كي تنام، فنامت سريعا، ووضعتها فوق السرير كي تكمل نومها..

أما أنا فيجب أن أنفذ جريمة لزلت أخطط لها منذ سنين وهي قتل أبي القاسي الذي كان سببا في قتل أمي البريئة.

ها قد أتيت يا أبي، هل تريد مني شيء؟

ل يا بنيتي، لا أريد شيء، سأنام مثلما نامت دميتك..

بل ستنام نوما أبديا يا أبي..

نام أبي سريعا لأنه كان مرهقا جدا، فأتيت صوبه كي أتفقده، فرأيت غفوته العميقة، حينها خرزت سكينتي في قلبه خرزة عميقة جدا، لن يستفيق من وراءها أبدا..

مات أبي، ومات شره وغضبه الذي كان يرافقني دائما، ومكثت في ذلك البيت

أصارع الحياة وحيدة..

هل من مغيث يا مغيث..

هل من معين يا معين..

كانت أول ليلة أقضيها وحيدة، حين قتلت أبي، جلست في الزاوية وجعلت أحدق في ذلك السكين المليء بالدماء، وكأني أقوم بطقوس وداعه على طريقتي ،لم تدمع عيوني أبدا حين رأيت جثته، بل أني استبدلت حزني بفرحي، لقد كنت أول قاتلة في التاريخ، تحتفل بعد قتل أبيها، كانت الساعة 00:00 بعد منتصف الليل ،كان الظلام قاتما، و كنت لازلت أحدق في جثة أبي المرماة على السرير، الملطخة بالدماء، وكأني لم أومن أني نجحت فيما أريد، كنت أضحك مثل المجنونة فرحا بما فعلت، وكانت ضحكاتي تتعالى في أرجاء البيت، لا أعرف كيف ولا حتى متى أصبحت قاسية هكذا، لكن كل ما أعلمه أني لن أنام هذه الليلة لأني سأحتفل بالفوز في معركتي على طريقتي..

كنت أراقب ملامح أبي التي كانت تتحول إلى اللون الأسود ،بدقة، وأسترجع تلك اللحظات السيئة التي كانت في ذاكرتي عنه، حين كان يعذب أمي، وحين كانت ترجوه بكل ما فيها من قوى كي يحررها، لكنه لم يكن يشفق عليها، وكان يستمر في تعذيبها، ظن منه أنه بذلك يلعب دور الرجل المسيطر على زوجته،

وبينما أنا كذلك سمعت أصوات غريبة كانت تعلو شيء فشيء في الغرف الأخرى، ترافقها موسيقى حزينة، تشبه نحيب النساء، لكن لم أعرف أبدا مكان

صدورها..

فجأة اختفت كل ابتساماتي بسرعة حين شعرت بخوف شديد من هول الموقف، كانت المصابيح توشك على الإنطفاء، وكان هناك وقع أقدام لم أك أعرف مصدرها ، وعادت تلك الضحكات الغريبة تتعالى مجددا هذه المرة في الغرفة التي كانت ينام فيها أبي..

تتساءلين من أنا؟

ألا تعلمين من أنا؟

أنا خادم السحر الذي ساعدك على التخلص من أبيك

الذي نادته العجوز خولة صديقة أمك كي يخلصها من عذابها

أعرف أنك صغيرة، لا تدركين ما تفعلين، لكني أنا من حركك مثل الدمية كي تقتلي أباك ..

وجعلك ترين أخطاؤه وتكرهينه بشدة.

لكن لا تقلق ستبقين معي، وفي حمايتي، لن يقترب منك أحد، وإذا حدث واقترب سيعاني كثيرا حتى الموت..

مرت الأيام بسرعة في ذلك البيت لم أكن أدرك أني لا حية وميتة، لأني بعد وفاة ولداي لم أدرك كيف تغير مكان إيقامتي ،وصار في مدينة غريبة جدا لم أرى مثلها في حياتي ، كانت مدينة تاريخية بأدق تفاصيلها، لا يسكنها البشر، فيها قصور من الرمال الذهبية يعجز اللسان على وصفها ، شاسعة المساحة

-تشبه البوابة، تدعى سفارا، سمعت من أمي أنها تعتبر بوابة للصحراء، سكنها قوم

لم يعرف لهم أثر لحد اللحظة، قيل أنهم من الجن ،يبدو أن حديث أمي صحيح، لو لم يكن ذلك حقيقيا لما كنت الآن هنا ..

من أتى بي هنا، لا أعلم ؟

يبدو أنني الكائنة البشرية الوحيدة التي دخلت البوابة بعد ملايين السنين، وهي الآن تجلس بجانب جثث تبلغ من العمر ملايين السنين ، كنت أجلس في الزواية، أحدق في تلك المدينة الفاتنة، حتى رأيت مائدة عظيمة تخرج من تحت الرمال، فيها من الطعام ما طاب و لذ، كانت معدتي تشكو من الطوى لساعات طويلة، يبدو أني وجدت الآن ما سأكل في هذه الليلة الباردة ، ركضت بسرعة فرس متمردة إلى حيث كانت تلك المائدة العجيبة، وإذا بي أجد كائنات فضائية غريبة ، تدعوني للأكل معها على طريقتها، كانت

ترتدي زي أبيض غريب جدا لم يسبق لي أن رأيت مثله، وكانت برفقتها كائنات أخرى يبدو أنها كانت من الجن ترتدي ألوان مختلفة، البعض منها أحمر، والبعض الآخر أسود و أبيض، أستغربت وجود كل تلك الألوان حقا

،لكني اقتنعت بعد ذلك أن في هذه المدينة هناك ما هو غير عادي لأنها حقا عجيبة، لأني رأيت فيها أنوار صفراء أشبه بلون الذهب الخالص تخرج من كل حفرة وقع رجلي عليها، كانت تظهر حين أرمقها بنظراتي وتختفي في ذات الوقت حين ألتفت لرؤية شيء آخر ،

لابد أن ملوكها ليسوا بشر أبدا، ولولا ذلك لما كنت أنا هنا فقط البشرية الوحيدة التي تجلس الآن مع هذه المخلوقات الغريبة..

أردت تذوق ما كان على السفرة التي كانت أمامنا أنا وهولاء وإذا بي أجد لحما كثيرا يشبه لحم الغنم أو البقر الذي كنا نطهيه في العادة، فارتفعت يداي كي أكل منه لكنهم أصروا على أن لا أكل منه إلا حين يرتلون تعاويذهم الغريبة تلك، لم أكن أعلم ما هي، كانت أول مرة لي أرى فيها ذلك ،لم أعلم من أمي أن هناك كائنات كهذه ولا عالم مثل هذا الذي أسكنه الآن ..

كانت ليلة قمرية جميلة، كنت أستمتع برؤية القمر في وسط ذلك الكثب العظيم من الرمال، وكان الذهب الذي كان يغطيها يبرق من بعيد كلما لمسته خيوط القمر، لم أكن أعرف حقا لمن كل تلك الذهب ؟

هل يعقل أن تلك الكائنات الغريبة ترتدي تلك القطع الذهبية الخالصة؟

أيعقل أنني جننت أم أني على صواب، وأن لكل ذلك الذهب ملوك،

أثار ذلك فضولي ، فتحركت من مكاني وجعلت أمشي لأرى ماذا يوجد في تلك المدينة، وكلما مشيت رأيت بابا عظيم يقف بجانبه حارس ذو جسد ضخم يحرسه،

أهناك حقا كل هذه الأبواب في هذه المدينة؟ ، يالي الغرابة!

لم أرى في حياتي كلها كل تلك الأشياء، إنها في قمة الجمال وفي ذات الوقت هي أيضا في قمة الغرابة، ترى ماذا يوجد بجانب تلك المقابر الجماعية؟

ذهبت إلى هناك لألقي نظرة فوجدت جثثا غريبة، كانت أغرب مما يكون أن يقال عنها غريبة، كانت صورها مرسومة بطريقة دقيقة على جدران المدينة

لكن لم أدرك معانها إلا حين أمعنت النظر فيها ، كنت أمشي والخوف يعتريني، وإذا بي أسمع صوتا خيل لي أنه بشري، ثم أنصت ثانية وإذا بي أسمع صوتا آخر خيل لي أنه ليس بشري أبدا، ركضت سريعا أريد إكتشاف ذلك وإذا بي أجد إمرأة صحراوية

ترتدي ملابس ترقية زرقاء تقف عند البوابة ترتل بعض التعويذات الغريبة ، وهي تحمل كيسا ذهبي وفي جوفه سبع عظام ، وفجأة وبينما هي تلقي تلك تعويذات حتى أتاها مارد يحديثها :

خادمك هنا امريني وسألبي لك مطلبك فورا ..

لم تلبث المرأة الترقية سريعا حتى أخرجت صورة لفتاة شابة تبلغ من العمر عشرون سنة، كانت قد وقعت في حب ابنها، فأراد أن يتزوجها لكنها رفضت زواجهما وجاءت لتفعل ذلك بها وتجعل ابنها يكرهها ويبتعد عنها عنوة ..

لابد أن هذه أم شريرة تريد أن تتحكم في ابنها بفعلتها تلك ولولا ذلك لما كانت قد أتت إلىهنا ، من تأتي ليلا خلسة لهذا المكان وهي تعلم أنه قد يكون حتما سبب في موتها؟.

كان ملك الجن يعد المرأة أنه سينفذ لها مطلبها لكن شرط أن تاتيه بديك بمقابل ذلك ما يطلبه منها ..

لم أكن أعرف عن أي مطالب يتحدثون، لأني طفلة ،لكني علمت حتما أن تلك المطالب قد تكون محرمة، وغير مقبولة..

ذهبت المرأة تبتسم في الطريق ظنا منها أنها نجحت بفعلتها تلك، وأنها لن

ترى ابنها مرة أخرى يحدثها عن تلك الفتاة الفاسدة، التي أفسدت له أخلاقه وربما فعلت له هي الآخرى شيء كي يهيم في حبها ..

كنت أراقب تلك المرأة وقلبي الصغير لا يقوى على التحمل، لا بد أنني فعلت ما فعلت كي أرى كل هذه الأشياء بأم عيني، ولو لم أقتل أبي، لما كنت هنا مسجونة بين هذه الأسوار، أرى أناس غريبة، لا تعرف لا صلاة ولا سجود ، لا تؤمن برب الوجود، بل ولو نطق أحد أمامها بإسم لله لكان ميتا لا محال ، هذا جزاء من يفعل شيء يعلم من صميم قلبه أنه شرك بلله..

لم أكن أعلم ماذا أتى بتلك المرأة المدعوة خولة ذلك اليوم حين ضرب أبي أمي وعذبها، ولولا هي لما فعلت أنا ما فعلت بأبي..

هذا عقاب من ينسىٰ الله ويركض نحو الدجالين وأتابعهم من السحرة والشياطين، ماذا سأفعل يا إلاهي في هذا المكان وأنا طفلة؟

هل سأبقى هكذا مقيدة اليدين، بين هذه المخلوقات الغريبة كي أصبح في يوم من الأيام جنية؟

لا حتما سينتهي بي الأمر إلى نسيان أصلي وخلقي وديني، أنا صارة، وسميت هكذا لأن أبي كان يحب إسم صارة، لأنه كان إسم زوجة إبراهيم عليه السلام، كان يقول لي حين كنت صغيرة :ستكبرين يا بنيتي وأرجو أن تكوني مثل زوجة إبراهيم عليه السلام..

كنت في الخامسة من عمري حين سمعت منه ذلك، لم أكن أعرف من هو إبراهيم عليه السلام ولا من هي صارة حتى، لكن يبدو أني الآن أعرف كل

شيء ،

لكن في ماذا ينفعني الندم الآن وأنا بين أسوار هذه المدينة الغريبة؟

ليس لدى سوى حل واحد وهو نطق الشهادة لأنها كلمة عظيمة جدا تخاف منها الجن والمردة، رفعت إصبعي وجعلت أرتلها بقوة وعزيمة:

لا إله إلا لله محمد رسول لله عليه افضل الصلاه والسلام، لا أعلم كيف فعلتها لكني حتما قوية لأني تحديت كل من كان حولي من المردة وارتفعت حين قلتها عاليا جدا، لأطير في اسماء وأحلق مثل الطير المهاجرة ولم أدرك حقا كيف حدث ذلك، حتى وجدتني أنام بجانب أبي ، استيقظت من ذلك الكابوس، أقبله بكل حب وحنان ،وأحمد لله في ذات الوقت على تلك النعمة التى وهبني إياها بعد زمن طويل من المعاناة..

كنت مسرورة بقدر ما كنت حزينة في الحلم أو أكثر، لم تكن تسعني الأرض ولا السماء من الفرح، تراني أحلم أم أن ذلك واقع ملموس، وأنا فقط التي أنكر وجوده، لم أصدق ما رأت عيني فرحت ألمس خد أبي، فأبعدها بلطف، ثم أردف يقول في غير وعي:

ماذا دهاك يا أميرتي الصغيرة؟

هل أغضبتك دميتك ثانية؟

أم أغضبتك أنا، بينما كنت أشخر في نومي العميق؟

لا يا أبي، كنت أحاول أن أرى إن كنت حقيقيا؟

ولماذا لا تصدقين ما ترين أمامك؟

سأقول لك شيء، أنت صدقي أني موجود وأنا سأثبت لك ذلك،

حسنا تذكري ماذا قلت لي البارحة قبل النوم، حين كنت تبكين على غياب أمك:

أنا أشعر بالوحدة يا أبي أفتقد كثيرا إلى أمي..

كنت تبكين بشدة، ولم تستطيع السيطرة على نفسك فهويت أرضا من شدة الحزن، كان وقع خبر موت أمك قاسيا جدا عليك ، ولم تستطيع نسيانه البتة، فظللت تهلوسين طول الليل، كنت تلفظين أسماءا غريبة لم أسمع مثلها طيلة حياتي، كنت كلما وضعت قماشا باردا على رأسك علا صوتك، لا أدري لما، كان صوتك يتغير كل مرة، تارة يكون خشنا يبدو كأنه لذكر، وتارة ناعما يبدو وكأنه لأنثى، لم أدرك لما حدث لك كل ذلك، فرحت أتلو عليك بعض الأيات من القرأن الكريم حتى استعدت وعيك، واستفقت فوجدتني بجانبك..

هذا كل ما حدث يا ابنتي..

كان أبي يروي لي ما حدث لي، ولم يكن يعلم ما رأيت في حلمي البتة، يبدو أن كل ما رأيته كان خياليا لكن سببه كان حقيقيا، وهو ذلك الدواء الذي أتت به خولة لأمي كي تخلصها من أبي..

أيعقل أنني جننت حين رأيتني أقتل أبي ليلا، وإذا فعلت ذلك أكان سيعود أبي إلى الحياة؟

لا أعلم لما كل شيء يبدو لي غامضا، حقا لا أعلم..

لماذا لا أعرف شيء عن ذلك؟

هل كنت سأعرف لو كانت أمي على قيد الحياة وهي التي كانت تنوي أذية أبي ؟فماتت قهرا قبل تنفيذها ذلك.

أيعقل أن النية فقط نعاقب عليها بشدة، ماذا لو فعلت ذلك حقا، هل كانت لتنال ما نالت أو أكثر من ذلك؟

بت أخاف من كل شيء من حولي، ولم أعد أدرك الفرق بين العالمين الواقعي والخيالي..

كانت أفكاري مشوشة، وكنت جد مرتبكة، كانت الكلمات لتخونني لو لفظتها في تلك اللحظة، نعم هذا هو العالم الذي لم أكن أعرفه، دخلته خلسة من دون أن أعلم بسبب تلك المرأة مدوعة خولة..

أمر في غاية الغرابة، لكن لا يقابله شيء من الجمال كالذي في عالم النور الذي يسكنه المؤمنين والصالحين ،الذين يجازيهم الله في الآخرة جنة الخلد، ويدخلهم مع الشهداء والأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام.

كنت أحاول معرفة ما جرى لي البارحة، وكيف ذهبت في تلك الليلة في عالم كبير جدا ولو كنت في الواقع لما أخذ ذلك مني وقت طويل جدا وربما سنين لأصله، وأعرفه وأدركه، ربما كنت لأسقط شهيدة بين أسواره مثلما فعل السابقين،

وبينما أنا كذلك حتى أتى أبي ووضع يده على جبيني يريد تفقد حرارتي، ثم جعل يقرأ علي بعض أيات القرأن الكريم، وبعد أن أنهى ذلك، ناولني ماء، كان قد قرأ عليه قبل ذلك نفس الأيات، قال لي حينها أنها سنة نبوية شريفة

أمرنا الرسول محمد عليه أفضل والصلاة والسلام بفعلها، ثم جلب لي بدرة تشبه القرفة ولعلها أغمق قليلا، مثل الكمون تماما، وطلب مني تناولها تدعى بالقسط الهندي، في ظنه أنها تبعد كل مارد، وتحصن كل من يتناولها وبعدما أنهينا ذلك جعل يصلي على النبي محمد عليه افضل الصلاة والسلام، وطلب مني إعادة نفس الكلمات وراءه لأنها جزء من الرقية الشرعية..

وهكذا أختفى كل شيء في، وصارت حياتي جميلة، ومنارة مثل الثوريا أو أكثر لم أشعر بعدها إلا بالأمان والطمأنينة، وما زاد حياتي حلاوة هو دخولي للمسجد الذي يقع بجانب مسكننا الواقع في مدينة تندوف، هناك حيث تعلمت كل أصول الدين الإسلامي، وحفظت القرآن الكريم وختمته ،وهناك تعرفت على زوجي أنجاد الذي كان يأتي هو الآخر لحفظ القرآن الكريم كل يوم، وكبرنا سويا في ذلك المسجد، حتى صار عمرنا الخامسة عشر، حينها قرر أبي أن يمنعني من الذهاب لأجل التكفل بأعمال البيت، وتعلمها جيدا، لأني صرت بالغة في نظره، لأن الفتاة في الصحراء كانت منذ القدم تزوج في سن صغيرة جدا مخافة من ارتكابها المعاصي، ومكثت حقا في بيتنا المتواضع أقوم بأعماله الشاقه وأهتم بأبي الذي بلغ من العمر عتيا، وبعد مرور سنة من بقائي هناك، جاء أهل أنجاد يطلبون يدي للزواج، فوافق أبي لأنه كان يعرف أباه جيدا، وكانت تربطهم صداقة قوية جدا، لعلها كانت سبب رباطي تلك، فأسفر زواجي منه مجيء ملاكين إلى حياتي: إلهام، وإكرام، وهما توؤمين جاءتا تعوضاني مرارة وقساوة الحياة ولعل حنان الأم الذي فقدته في صغري، ليس ذلك فقط

بل جاءتا أيضا تعوضان أبي فرحة كان مشتاقا لها، ولم يراها منذ أن كانت أمي على قيد الحياة رغم قسوته عليها..

للأسف الشديد ما كان أبي ليعود لولا لم يفقد أمي، التي كان يعاملها بقسوة طول الوقت، والتي لم تلفظ ولو لمرة لفظا مخلا للحياء في حقه، بل كانت تغازله على طريقتها..

هناك أمور في حياتنا لو لم تأتي لكانت الحياة أصعب بكثير مما هي عليه الآن، لذلك لو لم تأتي خولة في حياتي لما عرفت حب الأبوبة ولما عرفت طريق الصواب، ولما اهتديت بعدما أخطأت..

الحمد لله الذي هداني ولولاه لما كنت لأهتدي، كانت هذه العبارات تخرج من فمي وأنا أروي ما حدث لأمي التي كانت ترقد بسلام في قبرها ، لعلي أسترجع من حبها ولو القليل، أو أشعر بوجودها .

أعلم أن وجود أمي لن يعوضه شيء، لن يوجده شيء إذا فقدته لكني كنت أكابر، نعم كنت أسترجع ضحاكتها، ابتساماتها، قبولاتها، البعض من حلاوتها التي لطالما أدمنتها، أليست هي سكر ذكرياتي، والحب وكل الحب الذي يمشي في عروقي..

بل هي كل شيء جميل وأخاذ لا أستطيع تركه و لو قررت، بل هي كل الأمان الذي لو حاولت بكل قواي توفيرها ما كنت لأقدر على توفيرها.

حبيبتي أمي، أقل ما يقال عنها شهيدة، كانت شهيدة عنف زوجها، ولولا ذلك لما ماتت ميتة شنيعة..

كنت سأسامح أبي لولا لم أكن قد شهدت كل شيء فعله بأمي، لكني رغم ذلك أراه بعين البنت التي لم تجد حبا يعوضها حبا فقدته إلا حبه..

كانت الأيام تمر علي بسرعة لا أعرف كيف كان يحدث ذلك وأنا أعيش لحظات الأمومة مع ملكاتي، إلهام وإكرام، اللتان عوضان على كل شيء عانيته، أما أبي فلم يعد ذلك الرجل الضخم مثلما كان سابقا، وتلاشات عظامه الواحدة تلوى الأخرى حتى صار عجوزا كبير في السن، لا يتحرك من مكانه إلى على عكازه، لم أكن أعرف أن من يزرع نبتة شر يحصد منها نباتات كثيرة تشببها ، لكني حين رأيت ما فعلت به الأيام حينها أدركت أنها لا تنسى أفعال أحد أخطأ ،ولكل إنسان نصيبه في هذه الحياة سيأتيه مهما طال الزمن ..

كانت الأيام أجمل بكثير لو كانت أمي على قيد الحياة لكنها ماتت قبل أن تراني زوجة وأما لفتاتين.

كم تعشق أمي الفتايات، أذكر أنها قالت لي ذات مرة أنها حين أنجبتني ، كانت أجمل ليلة بالنسبة لها ، لم تستطع طوال الليالي السبع من ولادتي النوم من شدة الفرح، كانت تسهر طوال الليل تحلم بأن ابنتها كبرت وصارت صبية، كانت ترسم في خيالها صورا لي وأنا صبية، وأخرى وأنا في سن البلوغ، والأخيرة التي كانت تحلم كثيرا بها أني عروس ترتدي فستان الزفاف ..

كم كانت تتمنى لو تحمل أطفالي على ذراعيها وتبقى لساعات طويلة تدلعهم وتلعب معهم..

كانت لتكون أجمل جدة، وأجمل حضن يحميهم من رياح الشتاء الحياتي الباردة

التي إن أصابتهم أهلكتهم أيم هلاك..

أعلم أني أعطيهم ما يكفي من الحب، لكني كلما أحضنهم أتذكر أني نسيت بالكاد حضن أمي، وحنانها لأنها رحلت عني وأنا صغيرة، لذلك كلما احتضنتهما استرجعت القليل من أحضان أمي الضائعة و قبولاتها الدافئة وحنانها النادر الذي أدرك أيم الإدراك أنه لن يكون موجودا دائما إلا لديها ، إذا اختفى فجأة، لن يكون هناك بمقابل ذلك حنان آخر قد يشبهه في هذه الحياة،

أعلم أن هناك أشخاص في حياتنا قد يعطوننا الحب، لكن ليس دائما يكون صافي ونظيف بقدر ما تعطينا أمهاتنا ،فهن خلقن لأجل إعطاء الحب مثل الورود تماما، التي خلقت لأجل إعطاء الجمال للوجود..

بلكاد صرت أعرف جيدا بعد زمن طويل كل أنواع الحب، فأنا الآن أم وزوجة، لقد فهمت حقا لماذا كانت تتعب حين كانت تجلس بجانبي حين تفرغ من أعمال البيت ، وحين كانت تحملني علي حجرها كي تمشط لي خصلات شعري كم كان يتصبب جبينها عرقا..

كانت تحمل عبئا كبيرا على عاتقها، لو ظللت طوال حياتي أحاول تعويضها ما كنت سأقدر أبدا..

حين نفقد أعز أشخاص على قلوبنا تصبح حتى الكلمات من دون مذاق، وكأن البهرات التي كانت تزين طبقنا المفضل اختفت حين اختفى شخص عزيز علينا ..

عجبا لهذه الحياة، نحن نولد فيها كي نعيش، ونمضي فيها سنوات كي نعثر على من يعطينا الحياة، وهو الرجل؛ كم هذا غريب..

نخسر حبا لنعثر على حب آخر له ذوق مختلف، وفيه بهارات مختلفة مثل طبق أجنبي ،مختلف المذاق ،وجديد تماما وقد لا يكون له مثيل إطلاقا.

حين التقيت بانجاد، كنت في سن السادسة أعيش أيام الحداد في زواية المسجد، لأتلو بعض الأيات علها تخفف علي ألالامي التي لو أحاول بكل قواي محها من لحافة قلبي ما كنت سأقدر، كانت طفلا جميلا جدا، يساعدني في حفظ الأيات تارة وتارة يحاول محادثتي وإضحاكي، أما أنا فقد كنت جد حزينة بعد موت أمي ..

كانت علاقتنا بريئة، لكنها في الوقت ذاته كانت بداية لحب برئ، لم يكن يرى لناظره من بعيد أنه سيكلل بالزواج، كنا نلعب مع بعضنا البعض، لا نعرف أبدا كلمات "ممنوع" أنتما جنسين مختلفين يجب أن تتجنبا بعضكما، كانت علاقتنا أنا وأنجاد أبعد كل البعد أن يقال عنها مقبولة منطقيا، لم نكن نخفي على بعض البعض شيء، بل كنا نضحك طوال الوقت، نتمزح تارة وتارة نلعب بالرمال، كانت حياتنا أشبه بعادية، ولو رأها غيرنا لقال عنها خيالية لكثرة المغامرات فيها.

كان أبي يسافر بين الحين والآخر مع أب أنجاد الشيخ حمزة أحمد بن عبد المعز، إلى الولايات المجاورة كجانيت، وبشار، وتاغيت، بغيت السياحة، ولعله كان يريد نسيان ما عناه بعد غياب أمي..

كنت أمكث ساعات طويلة وأحيان أيام في بيت أنجاد حين كان يسافر أبي، فكانت الحاجة ليلة بن أحمد بن حنبل البشاري تهتم بي كثيرا، ولعلها عوضتني ولو القليل من الحنان الذي كنت أشتاق له منذ سنوات طويلة بعد وفاة أمي كانت تجلس معي وتحدثني بعد العشاء رفقة بناتها سمر وأسمهان وقمر، بينما كان يجلس أنجاد مع أبيه لأجل التسامر هو أيضا..

كم كانت جميلة تلك الأيام، ولو طلب مني استرجاع القليل من ذكرياتي الجميلة لاخترت هذه، لأني حقا كنت سعيدة رغم ما عانيت سابقا وكأن الله أرسل لي العوض جزاء لصبري..

كانت تلك الأيام التي مكثت فيها في غياب أبي في بيت أنجاد سببا مقنعا كي أعرف أن ذلك البيت يشبه بيتي، ولعله يفوقه جمالا لأنه عامر بالحب..

كنت أجلس كل ليلة منذ وفاة أمي أدعو الله أن يغفر لها، بينما كان الكل يغطو في نوم عميق جدا..

لا أدري لما لا نتذكر الدعاء لأحبابنا وأهلنا دائما إلا حين نشعر بغيابهم ولقدر لله لفقدانهم، لا أدري حقا..

كنت أكبر بسرعة، وكلما كبرت قليلا زاد عقلي في استعاب الأمور وفهمها جيدا، لم أعد تلك الفتاة البريئة التي كانت تلعب لعبة الغميضة مع أنجاد ولا تلك التي كانت تجلس في الزاوية في فترة انعزالها عن العالم بسبب حزنها الشديد على فقدان أمها، بل إني أصبحت فتاة قوية، حذرة إلى أبعد حدود، لا تخاف من الهزينة وإن كانت في كل الحلات سببا في تعلمنا دروسا مفيدة..

لقد وجدت راحتي في المسجد وفي قراءة القرأن وحفظه وتلاوته، لكن سرعان ما كبر جسمي وصار ناضجا، خاف أبي على من الذئاب البشرية التي تتغذى على لحوم الفتايات المراهقات وبالأحرى البريئات، فأمرني بإكمال حفظه في البيت،

فمكثتفم فعلا في البيت أتعلم أشغاله عن ظهر قلب، وأحفظ بين الفين والأخرى ما تيسر لي من القرآن الكريم..

كنت ذكية وحذقة ودارية بكل ما يحدث من حولي، أشعر بكره البشر لي وبحقدهم وبصلابة كلماتهم وبقسوة قلوبهم، وبحبهم ولو كان نادرا أحيانا.

علمتني الحياة أن لا أنتظر لأفشل في كل شيء بل أن أواصل الركض وأصبر كثيرا كي أصل إلى الهدف المطلوب تحقيقه، لم أشعر بالملل ولو لمرة واحدة أن الحياة لن تعطيني السعادة مجددا، بل كنت أحلم دوما بذلك لأني كنت أشعر في قرارة نفسي أني سأصل إليها في يوم من الأيام..

جل ما عرفته في مراهقتي قليل حتى دخل أنجاد إلى حياتي بصفة رسمية، وشغل جزء كبير منها، هناك فقط صرت أعرف الحياة، مذاقها الحلو والمر أيضا..

ما أجمل أن نجتمع مع شريكنا لأول مرة في غرفة واحدة من دون رقابة ولا قواعد ولا قوانين نتحدث بكل حرية، ونرى ما لديه هو أيضا، لنكشف ما يريد أن يخفي، ولعل الأكثر منطقية من ذلك الألفة والحب اللذان تجمعان بيننا كي تستمر علاقتنا طويلا بمشيئة لله..

حين ولدت فتاتاي إلهام وأحلام أردت أن أقيم لهما عشاء خاص كي أدعو إليه

أهل أنجاد اللذين كانوا جد مسرورين بخبر ولادتهما، فدعوتهما، فلم يكونا فقط والدا زوجي بل كانا أهلي الحقيقين اللذان لم يتركان ولو لدقيقة واحدة وكأنهما يريدان مسح تلك الأحاديث السيئة التي قيلت في السنوات الأخيرة في حق أهل الزوج .

كانت أمي ليلة لا تتركني إلا وجلبت لي شيء أكله، لأني كنت نفساء وأستحق معاملة جيدة لأني في فترة حساسة جدا، وأي مشكل صغير قد يأثر علي فيتأثر بذلك طفلتاي..

كانت تحضر لي بين الفين والفين طبق الطمينة التقليدي الذي عرفت به الكثير من الولايات الجزائرية كي تزاداد كمية الحليب في الثدين، وهذا تقليد لزال يتداوله الكثير منهم كعادة مجربة في القدم، وقد استفاد منها الأجداد لذلك يجب تجربتها،كما الحنة هي الأخرى تأتيني محضرة في صحن حديدي تفوح منها رائحة الأفراح والسعادة، لتضعها لي أم أنجاد أمي ليلة في يداي وقدماي ظن منها أنها عادة متوارثة منذ القدم، لأنهم كانوا يقولون أن عدم وضع النفساء الحنة هو شيء غير محبوب وقد يضرها، لأنها في نظرهم تخفف عنها المرض، و الموجات الساخنة التي كانت تلفح جسدها بين الفين والفين بسبب الولادة، وتنظف الجسد من المرض وتشحنه بطاقة إيجابية..

كيف ذلك وقد كان الحبيب عليه أفضل الصلاة والسلام يضعها في قدميه حين كانت تألمه ...

ومنذ ذلك الوقت صارت عادة إسلامية متوارثة بين المسلمين، اتباعا لسنة

الرسول محمد عليه افضل الصلاة والسلام.

لم أكن أعرف الكثير عن تلك العادات حتى تزوجت من أنجاد، حينها فقط عرفت ذوق اللمة، والسعادة في كنف العائلة، والفرح والسرور اللذان غادرا حياتي بعد رحيل أمي..

هناك فقط عرفت لما تتزوج الفتايات؟

ولما تتركن بيوت أبائهن وتذهن لبيوت أزواجهن فقط لاستكمال ما تعلمن من دروس عن الحياة وعن متطلباتها..

حين دخلت أول مرة بيت أنجاد وأنا عروس بكيت كثيرا لأني يتيمة وليس لدي أم تسأل عن حالي بين الحين والآخر، أستشريها فيما لا أريد الحديث عنه أمام الآخرين بسبب خصوصيته ،لكن سرعان ما ألفت العيش في ذلك البيت صار لدي أم ثانية وأب ثاني أيضا يحبان كثيرا وكأني أبنتهم التي لم تولد من صلبهما..

كانا يسألاني عن حالي في كل مرة يمران على غرفتي وكأنهما كانا يشعران باشتياقي للحنان والحب اللذان افتقدت لهما منذ سنين..

ما هدف العيش حقا من دون وجود حب الأقارب؟

ما نفع كل شيء إن كنا لا نملك لا أحبابا ولا أصدقاء يتبادلون معنا الأحاديث وينسوننا مصاعب الحياة؟

حين لا نشعر بأي شيء في داخلنا، ولا نتوجع من ألالامنا نعرف أن الوحدة هي سبب ذلك، فجفاف القلب من قلة خداماته ..

لماذا سينبض قلب يعلم أنه لم ينبض ولو لمرة لحبيب قريب منه، حتى لو رفض الإعتراف فإنه حتما مضطر إلى الإنتظار في حجرة العناية المركزة لعله يشفى من ألم اللاشعور..

نحن لا نتنفس لمجرد أننا نريد التنفس ،لكننا نتنفس لأننا نشعر بوجود كمية كبيرة من الطاقة السلبية، وحين نفعل ذلك نخرجها، فنرتاح كثيراً..

وحين تنبض قلوبنا تنبض حين تشعر أن هناك من يريد أن يعطيها الحياة، ويجعلها تنبض من دون خوف، ومن دون ضغط..

لا أذكر متى انتقلنا إلى الجزائر، لكني كل ما أعلمه أننا كنا من أصل فاريسي قالت لي أمي أنهم كانوا مختلفين جدا في البداية، لا يعرفون أي شيء عن الجزائر، لكنهم كانوا محافظين جدا، واعتادوا عليها شيء فشيء حين رأوا غيرهم من الجنسيات الأجنبية التي لزالت تستقر في الجزائر استقرارا شبه دائم كالماليين والسوريين وغيرهم، اللذين اعتادوا عليها كثيرا ..

كانت أمي جزائرية الأصل لكن أبي وعائلته كانوا فاريسين فكانوا لا يتحدثون كثيرا، ولا يخالطون الناس كثيرا لأنهم ليسوا من الجزائر وقد كان الأمر يأخذ منهم الكثير كي يتأقلموا، فكانت أم أنجاد ليلة تزور أمي حين كانت على قيد الحياة بين الحين والآخر لتخفف عنها قساوة الحياة، فكانت تواسيها بكلمات عربية فصيحة:

إصبري يا حبيبتي، سيعوضك الله، إنه لا يخلف وعده سبحانه.

فكانت أمي تجيبها بكلمات مجردة من المشاعر، ولعلها عارية أيضا

من الحب والتفاؤل لأنها كانت تشعر ألم شديد بسبب انفطار قلبها.

لقد حرمني ضرب زوجي وعذابه من الولادة، لن أكون قادرة على الحمل مجددا يا ليلى..

لا تقولي ذلك يا عزيزتي، قد يكون سبب عدم حملك إرادة من لله..

لا يا ليلى لقد ذهبت مرة برفقته إلى الطبيب، وقال لي أني لن أحمل ثانية لأني مصابة بسرطان في عنق الرحم..

كان نورزاد في ذلك اليوم قد ضربني ضربة قوية في رحمي، وحين سقطت وأغمى علي أخذني للطبيب كي يفحصني لأن ضميره كان يأنبه.

أستغفر لله العظيم، حسبي لله ونعم الوكيل، كيف يعاملك بهذه المعاملة؟

ألست زوجته، وأم ابنته؟

لماذا تزوجك كي يمارس العنف عليك؟

هذا ليس عادلا يا عزيزتي..

كان يجب عليك أن تشكيه إلى أهلك أو

إلى أهله..

نورزاد ليس لديه أحد، أما أنا فإني لا أستطيع أن

أشك لأهلي عن مشاكلي الزوجية، لديهم ما يكفيهم

من الهموم، لن أزيد عليهم..

أعرف يا عزيزتي أن ذلك صعب بالنسبة

إليك، لكن من سيحمل عنك القليل منه

فقط أهلك يا عزيزتي..

لم تكن أمي تخبر أهلها أبدا بما يفعله بها أبي، لأنها كانت تخاف من أن يطلقها ، فكانت تشفي جروحها بنفسها، وتصلي وتدعو لله أن يخفف عنها عذابها الذي كانت تعيشه لساعات طويلة وأحيانا لأيام..

كانت شبه ميتة لا تخرج من بيتها إلا بشهور، وإذا حدث وخرجت لترتاح في بيت أبيها عادت بسرعة لأنها كانت تخاف علي وعلي أبي رغم قسوته، لأنه لم يكن يرضى رغم أنه كان يكرهني تركي أذهب برفقتها، فكان يريدني أن أجلب له الحاجات التي يحتاجها في البيت بينما هو مرتاح في سريره، خاصة حين كان يأتي من العمل متعبا..

لو حدث وتزوج أبي من إمرأة خبيثة، لكان خسر كل شيء في أول ليلة له معها، لأنه كان قاسيا جدا، لا يعرف كيف يعامل المرأة بحنان وبلطف مثلما يفعل باقي الرجال، كان صعب المراص وجلادا وهذا ما كان سبب وفاة أمي .

لم يكن يرحم أحدا يتدخل في أموره، ولا حتى يتحدث معه مجرد حديث كنت أشك أنه مختل عقليا أحيانا وغير طبيعي.

كان يحب الهدوء كثيرا والظلام ، ويعشق التمرد على العالم بين الحين والآخر، كان يمارس طقوس غضبه على كل شيء يراه أمامه، حتى أنه كان يكره القطط بشدة، خاصة حين تحدث ضجة كبيرة حين تجتمع بقطط آخرى، كنت أراه يرميها بحذائه كلما اقتربت منه، حتى هي لم تكن تدخل غرفته حين تراه ملقى فوق السرير، لا عجب أنها كانت تفهم ما يحدث رغم أنها حيوانات، سبحان الله..

كان أبي يهتم كثيرا بجمع المال، لم يكن يجلب كل حاجيات البيت دائما، كنا نبقى من دون أكل لي ليالي طويلة، لولا الأكل التي كانت ترسله لنا ليلة أم أنجاد، لكنا متنا منذ زمن طويل..

ليس ذلك فقط بل إنه كان يكره التصدق على الناس، لأنه كان مدمنا على البخل،رغم أن أمي كانت تحاول بكل قواها فعل ذلك إلا أنه كان يوقفها سرعان ما يعرف ما فعلت .

كنت أسترجع ذكرياتنا معا بينما كانت ملاكتاي تنامان في حجري، لم تكن تفهماني شيء مما أقول لكني رغم ذلك كنت أتحدث فقط، لعلي أشفى من جروحي التي أحدثها لي الزمن..

دخل أنجاد وفي يديه نعله قد تقطع له بينما كان يمشي في الشارع قاصدا المسجد لأجل صلاة المغرب، كنت مكتئبة حقا لكن حين رأيته بتلك الحال ،لا أعلم لما أصيبت بنوبة ضحك هستيرية:

ما هذا يا سيد أنجاد؟

من هي التي رأتك اليوم من النافذة

كي يحدث معك ذلك؟

ماذا، كفي من السخرية على زوجك يا

أيتها الزوجة المهملة؟

أنا زوجة مهملة، متى أهملتك؟

هيا قول؟

هه، أهملتني قبل قليل حين دخلت..

لماذا لم ترحب بي مثل ما تفعل باقي

الزوجات..

وماذا تفعل باقي الزوجات حين يدخل أزواجهن؟

ألا تعرفين صدقا؟

لا أخبرني أنت؟

يقبلن جبينهم، ويرحبن بهم أيم الترحيب ويحدقن

بعيونهم تحديقة حب واهتمام..

هناك كلمات لا تقال يا عزيزتي بل نستطيع إيصالها بالعيون فقط..

ههه، تريدني أن أفعل ذلك إذن..

ولما لا ألست زوجك؟

بلى أنت كذلك يا حبيبي..

لكن رغم ذلك سأفكر في الأمر..

وأرى إن كنت أستطيع فعل ذلك أمام

أمك وأبيك وأخوك علي وأختك فادية..

هه، تفكرين إذن طيب..

سأنتظرك..

حسنا انتظر، يمكن أن يأخذ قراري

سنة أو سنتين على الأقل..

ههه، ماذا أيتها البخيلة..

ألا تستطعين التعبير لزوجك ولو لمرة واحدة.

لا..

حسنا إذن..

كنت أستمتع برؤية أنجاد سعيد ومسرور، وفي ثغره ابتسامة، أنا واثقة أن كل النساء المتزوجات ليس لهن ما لدي من أهداف، لكن صدقا ما أريده فعلا هو أن يكون زوجي سعيدا دائما..

لا أعرف ما معنى السعادة في نظر النساء المتزوجات، لكن عرفت معناها فقط حين دخل أنجاد إلى حياتي وكأنني كنت ميتة وأعطاني هو الحياة..

نحن نولد بسبب شخصين ونعيش باقي حياتنا بسبب شخص واحد فقط وهو شريكنا الذي يقاسمنا كل شيء الفرح والمعاناة والحزن والألم.

ولو كان معنى الحياة واضحا لكل إنسان فيها لما كنا نعاني جميعا بين الحين والأخر لكن سرعان ما نشعر بذلك تسقط قطرات مطر دافئة علينا كي تطفئ لهيل النيران التي أحدثتها قساوة الظروف الحياتية..

لذلك يجب أن نصبر ونواصل السير نحو الأمام حتى لو كنا نشعر في كل فترة في حياتنا بالإرهاق..

لأن لله سبحانه وتعالى لم يخلق إنسان من دون هدف، بل خلق كل شخص بهدف ، وجعله أيضا في غالب الأحيان سببا في تغير حياة شخص أخر، فعجبا من أمر الحياة حين تجعل منا أهداف في حياة أشخاص أخرين، نخلع

حينها لباس البشرية ونرتدي لباس الملائكة لننشر السعادة بأنواعها في حياتهم، الذين قد يكونوا سببا أحيانا في حصولنا على الأكسجين الذي لن نستطيع توفيره إلا بوجود أشخاص أخرون لو مهما علونا درجة ..

أشعر بتعب وإرهاق شديدين لأن حجري مثقل جدا لأن ملكتاي نامتا ويجب أن أخذها إلى سريريهما كي يكملا نومهما..

بسم لله ما شاءلله على جمالهما..

حفظهما لله من كل عين حاسدة

وسوء وجعلهما من عباده الصالحين

أمين.

لا أدري أين ذهب أنجاد بذلك النعل المقطع، لابد أنه لزال يتجول في الشارع باحثا عن خياط كي يخيط نعله الذي كان مصنوعا من جلد حيواني أصلي..

لابد أن أعرف أين هو الآن، لقد تأخر الوقت وهو لم يأتي بعد...

سأتصل به الآن:

أهلا يا عزيزي، أنت بخير؟

أين اختفيت وأنت تحمل ذلك النعل

المقطع في يدك، لقد تأخر الوقت؟

أنا أتي يا عزيزتي، أعلم أنك اشتقت

لي.

هل ستفعلين ما طلبته منك؟

ماذا؟

ماذا طلبت مني؟

أه، نسيت إذن؟

لن أعود إذن، إبقي بمفردك..

ماذا.. مجنون..

لماذا زوجي مسر على التعبير اليوم، لابد أنه جن حقا...

رغم ذلك أنا أحبه كثيرا، وأشعر بسعادة كبيرة معه..

يستطيع الحب أحيانا إحياء قلوب كانت ميتة وأحيانا قتلها إذا كانت حية،

نعم هذه هي معجزة الحب..

يحيا القلب حين يدخله الحب ويموت فورا حين يفقده، بل يجف كل شيء فيه ويصبح غير صالح أبدا مثل طعام انتهت صلاحية أكله.

لذلك نأخذ وقت طويل كي نجد من يحي قلوبنا ويعطيها الحياة..

لذلك توفيت أمي لأنها كانت تحلم بأخذ الحياة لكن أبي كان كلما اقترب منها قتل كل شيء حي فيها، حتى فاضت روحها لربها..

لن نبلغ الريادة ولا نتطور إلا بأخلاق نبيلة، ولو كان الله ينظر لوجوهنا لكانت كل الوجوه الجميلة تعيش بعد الموت في الجنة، لكن الله جعل لكل قلب نظيف الجنة حتى لوكان وجهه بشع وغير جميل..

لأن لله ينظر إلى قلوبنا ولا ينظر إلى وجههنا لأن القلب الوحيد فقط من ينبض ويعبر في صمت عن ما يجيش فيه من مشاعر فينعكس ذلك على الوجه إذا كان الشخص صادقا، أما إذا كان غير صادق ،سنرى دليل كذبه في الوجه.

ولو مهما فعلنا في حياتنا حتما سنقع في يوم من الأيام وسنعترف حتى ولو كنا في عزلة عن العالم، حتى لو كان اعترافا لأنفسنا فقط، لأننا بحاجة لفعل ذلك كي نعيش ثانية ونرتاح من أوجاع الحياة..

كانت أمي تتقن الحديث مع نفسها حين تنعزل، فتراها تحدث نفسها كل ما جلست وحيدة، كنت أحسبها مجنونة في باديء الأمر لكن سرعان ما فهمت الأمور، وجدت أن ذلك حقا مفيد، لأنه يزيد من درجه الذكاء لدى الإنسان ما إن استخدمه لمعرفة وتشخيص نفسه أو لمعرفة حلول مشاكله أو مشاكل غيره لأنه يرمز للطاقة الإيجابية الباطنية التي يملكها الإنسان أو الشخص الذي يمارس ذلك.

ما كنت أومن بذلك أبدا حتى رأيت ذلك في المنام حينها دخلت مدينة غريبة تدعى سيفار، هناك فقط عرفت معنى الحياة الحقيقي ورأيت الفرق بين النور والظلام

؛الأول هو الإيمان بوجود لله، وقدرته على خلق كل شيء.

والثاني هو عدم الإيمان بوجود الله، وبقدرته على خلق كل شيء ..

هناك فقط علمت أننا نولد لنتعلم دروسا قاسية في الحياة كي نصبح عظماء، حين ندرسها جيدا ونتذكرها باستمرار..

أو نصبح جبناء أحيانا حين لا نحاول فعل شيء، ولا حتى تحسين من أنفسنا..

كنت أعرف دوما أننا نتجرأ في الحكم على كل شخص يخطأ ،ولكننا لا نتجرأ في الحكم على أنفسنا، ببساطة لأننا نحن..

أخذني التفكير في هذا العالم المليء بالتعقيدات، وأنا أنتظر مجيء أنجاد، حتى نمت مثل الطفل الصغير دون أن أشعر، كان نومي مريحا جدا وما زاد راحتي أحلامي البريئة الرائعة التي كنت أراها:

كنت ألبس فستانا وردي وأنا ذات ست سنوات، حين كان كل شيء من حولي وردي، حينها دخلت أمي تلف على جسدها هي الأخرى ثوبا ناصع البياض، تمشي على مهل كي تلحق بأبي الذي كان يريد مغادرة البيت لأجل العمل، كانت تحمل رغيف خبز وإناء ماء كي يأخذه معه حين يذهب إلى العمل..

كنت جد سعيدة بذلك وكأني أرى ذلك في الواقع، كانت الصورة واضحة جدا، وكأنها تعرض في الواقع أمامي، لكني سرعان ما أمعنت النظر فيها، سمعت خطوات أقدام

تقترب صوب سريري:

نمت يا أميرتي؟

لماذا نمت قبل أن أتي؟

أه! لقد علمت أنك جبانة..

بل وبخيلة مشاعر أيضا.

لكن رغم ذلك أحبك يا أيتها البخيلة..

أنت تبدين في قمة الجمال وأنت تحاولين تجاهلي..

أعلم أنك تشعرين بوجودي.

هيا استيقظي..

كان صوت حديث أنجاد قوي في أذني ،فاستيقظت مشوشة الأفكار..

لا أعلم ما ساقول له، وأنا مازلت أحاول فهم رموز ذلك المنام الذي رايته قبل قليل:

ألا تعرف أني نائمة، لماذا كنت تتحدث بصوت عالي؟

لأني أريد أن أقظك، لا أستطيع المكوث وحيدا..

لذلك أقظك كي تذهب عني وحدتي..

ألم تخلق حواء عليها السلام كي تذهب وحدة أدم عليه السلام في الجنة ؟

بلى خلقت لذلك يا عزيزي..

لم أقصد أن أجعلك تشعر بذلك، أنا أشعر بتعب لذلك لم أستطيع الإستقاظ بسرعة، أعذرني يا عزيزي..

لا عليك..

أتريد أن أسخن لك الأكل يا حبيبي؟

لا تفعل، لقد أكلت في الخارج قلب اللوز والزلابية

مع فنجان شاي أخضر، لذلك أشعر بالشبع..

الله يحلي أيامك يا حبيبي..

طيب، هل تريد أن تقول لي شيء؟

لا، أنا فقط أردت أن أراك يا عزيزتي

اشتقت لك..

ألا يروى المشتاق برؤية حبيبته؟

بلى يا حبيبي..

أنت محق يا عزيزي..

أتعلم يا عزيزي، الحمد لله أني التقيتك ذاك اليوم الممطر في المسجد، لو لم ألتقيك ما كنت الآن سعيدة، كنت صغيرا جدا، ترتدي لباسا فارسي، أحببت ما كنت ترتدي، أعجبت به لأنه ذكرني بلباس العرب والفارسين القدماء ، فجعلت أحدق فيك لأني ذهلت ذهولا كبير ..

وبعد ذلك اللقاء صرنا نلتقي كل يوم في نفس المكان بل أجمل مكان على وجه الأرض، المكان الذي تبلل فيه شفاه كل مسلم بذكر لله عشرات المرات حين يرتل أيات من القرآن أو يقرأ أحاديث نبوية .

كنت فتاة غير عادية، لا يستهوين المال الكثير عند الرجل، لكن كان يجذبني شيء واحد فيه وهو التوحيد الذي إن رأيته سكن كل شيء في وأصبح هادئا مثل أمواج البحر.

الخلق العظيم لا يأتي إلا مع التوحيد، حين نوحد لله نكون فقط محصنين من كل شيء سيء، لا يقربنا الجن ولا الإنس الخبثاء ، لأن لله يضع بيننا وبينهم حجاب، هذا هو الفرق بين المؤمن والكافر..

المؤمن صافي في سريرته، لا يشكي من شيء ولا تكدره الهموم وإن كدرته سجد لله وتضرع إليه فنال ما يرضيه..

ولولا كل هذا ما كنت أنا زوجة أنجاد الآن، إن لله يأخذ شيء ليمتحننا ويهبنا

شيء أخر أجمل من الشيء الأول بعشرات المرات كي يبين لنا مدى عظمته، وبأنه كان يسمع مناجات عبده حين كان يناجيه..

لذلك أحمد الله لأنه قدر لأمي أنا تموت وعوضني بأم أخرى هي أم زوجي، وأعطاني زوجا ولو جاءني عشرات الرجال أغنى منه وأجمل، ما كنت استبدلته ولو فرض علي ذلك..

ما كنت أحب الزواج أبدا في الماضي لأني كنت أرى أمي تعاني من زواجها، كانت مشاهد التعذيب تجعلني أمقت أبي حتى الموت ،كنت أتمنى له الموت دائما حين كنت أراه يضربها ضربا مبرحا..

لكن حين كبرت وأصبحت ناضجة، التقيت بأنجاد وأهله الطيبين فتغير معنى الزواج في عقلي، وصرت أحب هذا الرابط الذي يجمعني حاليا بأنجاد وأهله، . حينها فقط صرت أعلم أن حياتنا ليست مثلما نراها بل مثل ما هي تريد أن نراها، كنت أعلم أنه سيأتي يوم نتغير فيه نحن ويتغير كل شيء من حولنا ، وفعلا تغيرت أنا وتغير حالي، وتغير العالم الذي أعيش فيه..

لم يبقى من ماضي الحزين سوى خدوش صغيرة في أعماق قلبي تزيد تفتحا كلما مرت على ذاكرتي تلك الذكريات الأليمة مثل لقاط مسلسل أو فيلم.

لا أذكر أني تعلمت شيء من أعمال البيت كالطبخ والتنظيف من أمي لأنها رحلت وتركتني في سن صغيرة جدا، حتى أبي كان يهيم في غيبوبة الماضي منذ وفاتها، ولعله كان يريد إرجاعه لأجل إصلاح ما أفسده أو ما كان سببا في فساده،لكن للأسف ليس هناك قانون في الحياة يجعلنا نعيد ماضينا مجددا أو

نعود إليه في ألة تحويل الزمن، ولو كان بامكاننا ذلك لكنا أرجعنا كل أحبابنا اللذين رحلوا عنا، و لكنا أصلحنا كل شيء كنا سببا في فساده..

سمي الماضي لأنه يعني الموت، وحين نتحدث عن موت ، لا نعني به موت البشر فقط ، بل موت كل شيء له علاقة بنا، والذكريات هي وسيلة لا نستطيع الإستغناء عنها لأنها وسيلة نستعين بها لإحياء الماضي الذي مات، كي نشعر بوجود كل شيء كان فيه.

حين جلست مع نفسي مرات عديدة بت أعرف أن من لا يعيش في الماضي بين الحين والآخر هو حتما شخص غير عادي، أو شخص ربوتي، الإنتقال بين الأزمنة شيء لا يتقنه إلا الأشخاص العقلاء، الذين يرون أنفسهم في المرآة كل يوم كي يحسنوا من إمكانياتهم، وهذا ما يجعلهم يدخلون في مقارنة بين الماضي والحاضر..

لذلك حين دخلت عالم الجن بت لا أعرف الفرق بين الأزمنة، أحيانا أكون في زمن الحاضر فأرى أشياء قديمة جدا، كالقصور القديمة، والمساكن الفارغة التي تركها أهلها ،وذلك لأني كنت أشعر بين الفترة والفترة أني في عالم ثاني هو عالم الماضي المستتر، الذي أغمضنا عيوننا عنه ولم نعود نراها البتة.

ما ميزني عن أي مريضة أخرى هو طريقة تأملي للأشياء، لم أكتف بالحقائق المادية البسيطة، بل أردت التعمق أكثر في سبب وجودها في حياتي، وبذلك صرت قوية جدا لدرجة أستطيع فيها السيطرة على هذه الذكريات الماضية التي تزورني في الرؤى..

ولولا القرأن الكريم لما كنت قد أدركت أني أمر باضطراب في السلم الزمني ويجب أن أتحكم في ذلك بنفسي كي أعود طبيعية مجددا.

بعدما أخذني أبي لراقي مشهور في الصحراء ورقاني، رأيت أنه يجب علي تعلم القران وحفظه لذلك طلبت من أبي الدخول للمسجد لحفظه، رغم صغر سني إلا أنني عرفت هذه الأشياء مبكرا جدا، لأن الله أراد أن يريني ذلك ،لذلك أصبحت ذكية أكثر وفطنة، أستطيع فهم الأشخاص الذين من حولي بسهولة لأني كنت أمارس التأمل في ساعات متأخرة من الليل ،لكن ليس ذلك الذي كانوا يتحدثون عنه في السنوات الأخيرة، التأمل في نظري هو السجود والتظرع لله في ساعات متأخرة من الليل لأجل تدريب القلب على الشعور بالعظمة الإلاهية

،التي تجعلنا نشحن أنفسنا بطاقة عجيبة، كي نكون قادرين على مواجهة المصاعب، والأمور المستعصرة ..

سألتني ذات مرة امرأة تقرب أمي ليلة من بعيد عن ما يعجبني في أنجاد، فقلت لها :

إن من يحب لا ينبغي أن يحب من أجل صفات خاصة يريدها في محبوبه ، بل إن للحب زمن يولد فيه، لا يعلمه سوى لله..

الحب مثل البطن الحبلى لا يعلم أحد ما تحمل في جوفها إلا خلقها ومصورها، كذلك الحب حين يأتي لا يعلم أحد ما يحمل في طياته؟

لذلك يجب على المحب إعطاء فرصة لحبيبه كي يفهمه ويعرفه جيدا، وأن لا

يحكم عليه بمجرد أن أخطأ للمرة الأولى، لكن ينبغي علينا مسايرة من نحب كي نكسب قلبه ونوطد علاقاتنا به..